حالة مصر الصحية في الوقت الحاضر

لحضرة صاحب السعادة الدكتور شاهين باشا
وكيل الداخلية لشؤون الصحية

— ٢ —

سار أبناء وأحفاد محمد علي الذين تولوا الحكم بعده على منواله وقطع كل منهم في هذا السبيل شوطاً يختلف عن الآخر تبعاً للموارد التي كانت لديه ووفقاً لمشورة الرجال الذين كانوا يتعاملون معه حتى أتى الخديوي اسماعيل باشا الذي امتاز عصره بالتجديد في كل النواحي الاجتماعية والمادية وقد تقدمت وفقاً لخططه الاصلاحية الشؤون الصحية تقدماً عظيماً لا سيما وان علم الصحة كان قد خطا خطوات واسعة في عصره مما كان خير معوان له على هذا التقدم

وما حلّ القرن العشرون حتى اصبح علم الصحة غير قاصر على مكافحة الاوبئة ومراقبة زيادة الوفيات وتيد المواليد بل تعدى ذلك الى الناحية الوقائية وابتدأت النهضة الصحية في مصر بالازدهار على ضوء التقدم الحديث للعلوم وفنون الطبية الذي انبثق فجره في اواخر القرن التاسع عشر لما اكتشفت جراثيم الامراض في الانسجة . وان نفس لا تنسى ما قام به باستور من العمل الخالد في اكتشافه اسباب التخمر في سنة ١٨٥٧ وابحاثه في الجراثيم في سنة ١٨٧٧ وفي الطعوم في السنتين من سنة ١٨٨٠ حتى ١٨٨٣ التي هي اساس الطب الحديث. هذا مع ما استنبطه كوخ من المزارع الصلبة والطرق المتقنة لتمييز الجراثيم وقد كان ذلك فتحاً عظيماً في الطب فتتابعت الاكتشافات الباهرة التي امتاز بها عصرنا من سنة ١٩٠٥ وفيها اكتشاف هنسن لباشلس الجذام وتيمر لميكروب السيلان وابرت وجانكي لباشلس الحمى التيفودية واجنتن لبزور التفح وكوخ لباشلس التدرن وباشلس الكوليرا بالقطر المصري وكابس ولوفلر لباشلس الدفتريا وكتاتو وبرسن لباشلس الطاعون ونيكولاير لباشلس التيتانوس واكتشف لافران في سنة ١٨٨٠ طفيلي الملاريا وهلم جرًّا حتى اتت سنة ١٩٠٥ فاكتشف شودن حلزونيّ الزهري ثم اكتشف ان لهذه الجراثيم سموماً تفعل في الجسم وعقب ذلك تحضير بهرنج وكتاتو مصلاً مضاداً للدفتريا وبهذه الاكتشافات الموفقة وصلنا الى معرفة حقيقة هامة وهي ان الجسم السليم اذا هاجمه ميكروب قد يتأثر بفعل سمومه غير انه يمكن لخلاياه وسوائله ان تقوم بالدفاع عن الجسم باتلاف الميكروب وهضمه وهذا الدفاع يحصل بواسطة مواد مضادة بفعلها لفعل سم الميكروب. وقد سبق ذلك بسنتين كشف متشنكوف لفعل الكريات البيضاء في اتلاف الجراثيم وتلا ذلك اكتشافات عديدة كالتليد

وغيره . ثم في سنة ١٩١٠ اعلن ارلخ اكتشافه لمركب ٦٠٦ الذي يقضي على طفيل الزهري في جسم الانسان . فهو تقدم بيانه نرى ان اول فعل باهر رفع من شأن علوم الطب وفروعها على اقوى الدعائم يرجع الفضل فيه الى باستور الكيماوي وكان ذلك في سنة ١٨٥٧ وكان الفضل في اتمام هذا العمل الباهر لكيماوي آخر وهو ارلخ . ولن تنسى الانسانية مهما كرت الدهور وتعاقبت العصور فضل هذين النابغين عليها

وقد اخذت مصر بنصيبها في تطبيق نتائج هذه المكتشفات لتحسين الحالة الصحية العامة بها لانه متى اكتشفت الجرثومة المسببة للمرض امكن مكافحته بالتغلب على هذه الجرثومة . وقد كان الدافع الى هذا التطبيق بمصر آتياً عن طريقين الاول رغبة اولي الامر في تمدين مصر والاخذ بالاساليب الاوروبية النافعة . والثاني تكرر حدوث الاوبئة بها بسبب وقوعها على حافة البركان كما يقول المثل الاوربي اشارة الى موقعها الجغرافي الذي جعلها على الدوام صلة الاتصال بين ممالك العالم . ومما يذكر في هذا الموطن مع الاغتباط أنهُ في اثناء نهضة مصر الصحية الحالية وفق بلهارس لاكتشاف ديدان البلهارسيا ولوس لطريق العدوى بها وبديدان الانكلستوما وانتهى الامر بالبحث في جميع النواحي الصحية والعمل على تحسينها وبالتالي رفع مستوى الحياة الصحية لكل فرد من الافراد وللمجتمع المصري كله على اختلاف طبقاته مما كان له اكبر الاثر في تمدين مصر . ولو كانت موارد البلاد المالية سمحت بمشي مستوى الثقافة العامة مع رقي الصحة العامة خطوة خطوة لبلغت مصر من المدنية شأواً عظيماً ولاستفادت البلاد من الجهود الصحية أضعاف ما تستفيده الآن اذ من البديهي انهُ لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون

فالحالة الصحية بالقطر المصري الآن مرضية فقد كانت نسبة الوفيات في سنة ١٨٨٨ تبلغ ٥٠٥٢ في الالف وفي سنة ١٨٨٠ تبلغ ٥١٢٦ في الالف وكان عدد السكان ٦٨٢٩٦٠٠ بينما انخفضت نسبة الوفيات بالقطر في سنة ١٩٣٠ الى ٢٤٫٤ في الالف وهي اقل نسبة في الخمس والعشرين السنة الاخيرة وعدد سكان القطر الآن نحو الخمسة عشر مليوناً من الانفس

ثم ان زيادة نسبة المواليد عن نسبة الوفيات كانت قليلة بينما هي الآن عالية جداً ففي سنة ١٨٨٩ كانت نسبة المواليد في القاهرة مثلاً ٥٨٫٨ ونسبة الوفيات ٥١٫٦ لكل الف ساكن بينما في سنة ١٩٣٠ كانت نسبة المواليد في القطر المصري ٤٤٫٤ ولم تتعد نسبة الوفيات ٢٥٫٤ والبون شاسع بين النسبتين وهذا دليل من اقوى الادلة على تقدم الصحة العامة بلا نزاع . اما اذا لوحظ وجود قلة في نسبة المواليد فهذه القلة احد مظاهر المدنية التي تدعو الى الاقلال من تعدد الزوجات ومن الزواج المبكر لكثرة تكاليف الحياة الآن والرغبة في التقليل من النسل لتوفير العناية بالقليل منهُ ليشب الابناء اصحاء ويصيروا اعضاء نافعين في الهيئة الاجتماعية . ومع ذلك فيقابل قلة النسل قلة الوفيات بين المواليد فبعد ان كان يتوفى في السنوات من ١٩٠١ الى ١٩٠٥ : ٢٨٢ في كل الف مولود انخفض هذا العدد في سنة ١٩٣٠ الى ١٥١ وفاة لكل الف

مولود . . . واذا نظرنا الى هذه النسبة وجدناها عالية لو قرنت بما يقابلها ببعض الممالك الاخرى كانجلترا او فرنسا ولكن يخفف وطأتها ان نسبة المواليد بمصر اعلى كثيراً مما هي في هذه الممالك حتى ان عدد سكان مصر دائماً في ازدياد فعدد سكان مصر الآن خمسة امثاله في اول عهد نهضتها الحديثة أي في اول عصر محمد علي باشا

ومع ذلك فمسألة زيادة وفيات الاطفال بالقطر المصري هي من المسائل التي بحثت بحثاً مستفيضاً وقد بدىء بالعمل على مكافحتها بافعل الوسائل العملية اذ انشىء في كل عاصمة مديرية مركز لرعاية الطفل وحماية الامومة كما انشئت عدة مراكز بالقاهرة والاسكندرية وانشئت فروع بالمستشفيات العامة لمعالجة الاطفال ومراكز ومستشفيات متنقلة كما أُلحقت دور للولادة بهذه المراكز ونظمت زيارات صحية بواسطة زائرات خصيصات لارشاد الحوامل والامهات في طرق العناية وتربية الطفل وغير ذلك من الوسائل الفعالة لمعالجة الامراض الوراثية وتحسين النسل. وقد ألمعنا الى اثر هذه الجهود في نقص نسبة الوفيات. ولا شك ان انتشار التعليم الاولي بين طبقات الشعب سيكون خير معوان على الوصول الى تقليل وفيات الاطفال الى الحد الادنى

ولم يكن اثر الاهتمام بالطفل قاصراً على تقليل نسبة الوفيات بين الاطفال فقط بل المقصود به ايضاً انشاء جيل قوي البنية ذي كفاية للعمل المنتج يعيش الى اقصى مدى مستطاع ولقد ظهرت طلائع هذا الجيل وشواهد ذلك جلية في فتيان اليوم وفتياته . فأين شباب اليوم من شباب خمسين سنة مضت وخصوصاً شابات ذاك العهد اذ كن صفراوات هزيلات أو سيئات مترهلات واما شبان اليوم وشاباته فممتازون صحة وعافية اذ يعنى بصحتهم من يوم ولادتهم حتى يخرجوا الى معترك الحياة — واذا ازدادت عناية المصريين بممارسة الالعاب الرياضية رجوعاً منهم الى سنة اجدادهم من قبل أصبح مجيء هذا الجيل قريباً ولا شك فيه

ولا ازيد القارىء بياناً عما اتخذ ويتخذ الآن في مقاومة الاوبئة بل ومنعها فقد اصبحت بعض الامراض اثراً بعد عين كالجدري كما اصبح البعض الآخر يتقى بالمطعن كالدفتريا والحميات المعوية او يقاوم بسهولة كالطاعون الذي كان الشبح المخيف بمصر كما سبق لنا بيانه في هذا المقال

هذا وقد نشرت معاهد العلاج في كل ناحية من نواحي القطر فلا يخلو الآن مركز من مستشفى ولا عاصمة مديرية من مستشفى عمومي كبير ولا قرية كبيرة من عيادة خارجية مع تيسير وسائل التشخيص بانشاء المعامل بكل انواعها وتزويدها بالاجهزة المختلفة وتوفير كل طرق المعالجة الحديثة بمعاهد العلاج حتى اصبح بالقطر المصري الآن ٨١ مستشفى عمومياً

ولما كانت مصر منذ القدم موطناً لامراض كالبلهارسيا والانكلستوما وبعض امراض العيون كالرمد الحبيبي وهذه الامراض — علاوة على الملاريا التي فشت في بعض جهات القطر بسبب وجود المستنقعات التي نشأت على الاخص بسبب حفر حفر لاخذ التراب منها لصنع الآجر المستعمل في بناء المخازن بالقرى وعدا عن الزهري والامراض الدرنية — تقلل من كفاية السكان

وتضمد قروح اتباعهم ومهد من كيان الامة بصفة عامة . فقد وجهت اليها العناية بنوع خاص وانشئت المستشفيات والمستوصفات لمعالجتها وكذلك لمعالجة الجذام كما بذلت الجهود في عمل الابحاث اللازمة عنهما وطرق معالجتها المعالجة الناجعة وخصوصاً الانكستوما والبلهارسيا اللذان اشيء معهد خاص لعمل التجارب المتعلقة بمقاومتهما فضلاً عن نشر النشرة ضد هذه الامراض نشراً مستمراً بكل طرق الاذاعة المعروفة الآن

ولا يوجد برهان على تقدم المدنية وزيادة الرفاهية في بلد من البلاد اقطع في الدلالة من توفير المياه النقية الكافية للشرب وللاستعمال المنزلي ومنع تلوث المياه وتصريف الفضلات والعناية بالشوارع والطرق وصحة المساكن والتفتيش على المأكولات وتنظيم الاسواق والاضاءة والنظافة العامة

وقد قطعت مصر شوطاً كبيراً في هذه السبل اذ ان عدد المدن التي توجد بها اجهزة لترشيح المياه اصبح خمساً وثلاثين وعدد البلاد التي بها آبار ارتوازية قد بلغ حتى الآن واحداً وثلاثين وعدد سكان هذه المدن الذين ينتفعون الآن بالمياه النقية هم حوالي ربع سكان القطر المصري . اما امهات المدن الموجود بها مجارٍ عامة فهي حتى الآن ثمان وادارة هذه الاجهزة علاوة على العناية بالنظافة العامة موكولة لمجالس البلدية والمحلية والقروية المنشئة في معظم المدن والبلاد والقرى الكبيرة . وليس من شك في ان المساكن الآن احسن حالاً من التي وصفها المؤرخون وزاروا القطر المصري في القرنين الاخيرين وقد مهدت شوارع المدن الكبيرة وعبدت طرق عديدة وعمت الاضاءة بالكهرباء المدن والكثير من البلاد ونظمت اسواق كثيرة للمأكولات وعني الآن بغذاء الانسان بما يلقن للأم وهي حامل وهي والدة وبما يلقن للتلميذ بالمدارس عن التغذية الصحية وبما ينشر على الجمهور وما اتجهت اليه عناية ولاة الامور من المحافظة على نقاوة الطعام بالتشريع الخاص بذلك وبالتفتيش على أماكن تخزينه وبيعه وتحضيره فلا يمكن الآن فتح محل لبيع المأكولات الا بترخيص بعد تنفيذ مواصفات صحية خاصة . وبعد الترخيص يفتش الاطباء ومعاونوهم المتخرجون في معهد خاص على هذه الاماكن تفتيشاً دورياً منتظماً لضمان سيرها على النظم الصحية

وبسبب نشوء عدة صناعات بالقطر المصري نبتت فكرة العناية بصحة العمال فابتدىء بسن تشريع لذلك وان كانت المصانع خاضعة للتفتيش الصحي منذ عهد النهضة الحديثة بالشئون الصحية العامة . وقد ابتدىء ايضاً في اقامة مساكن صحية للعمال بالاسكندرية والقاهرة ولا شك في ان البلاد سائرة في سبيل نهضة موفقة في الشئون الصناعية تستدعي عناية خاصة بالشئون الصحية للعمال والمصانع

نتائج الجهود الصحية والطبية

ان التقدم المطرد للطب والتقدم الاجتماعي للجنس البشري مهدا السبيل لعدد جم من بني

الانسان لان يحيا حياة طيبة ومثمرة وكانت نتيجة الجهود السابق ايضاحها ان ازداد متوسط العمر وان الكثير من الامراض زال تقريباً من القطر المصري كالجدري والبعض قل كالعور والعمى والملاريا ومتاعفات بعض الامراض كالبلهارسيا . فالبلهارسيا الجراحية صارت الآن أقل ثماني مرات مما كانت عليه في سنة ١٩٢٤ والخصوبات البولية ثلاث مرات ونصف مرة والبواسير البولية انخفضت الى الثلث مما كانت عليه في سنة ١٩٢٥

وبالاختصار قد تيسر بوضع بزور أسس الحياة الصحية رفع مستوى صحة الافراد رفعاً يبدو للعيان وقد هبطت نسبة الوفيات الى عدد السكان نحو اربعين في المائة عما كانت عليه من خمسين سنة مضت . وقد أصبح في متناول كل انسان من وقت طفولته التحصن ضد الكثير من الامراض كالجدري والدفتريا كما أبعد عنه خطر العدوى من امراض عديدة اخرى

ولكن بالرغم من هذه الجهود فانه لا يزال هناك معضلات صحية مصرية في حاجة الى الحل حتى يمكن مع التقدم الاجتماعي والصناعي المنتظر وتعميم التعليم الاجباري ان تصل المدنية الى اوفى مستواها في القطر المصري . وهذه المسائل هي موضع العناية الآن والبعض قد درس فعلاً والبعض الآخر لا يزال في طريق الدرس والمنتظر ان تحل جميع هذه المعضلات وقد أتينا على ذكر أهمها فيما يأتي : —

١ — معالجة نقص التغذية في بعض جهات القطر ٢ — معالجة مسألة ادمان المخدرات ٣ — العناية بالنسل باستئصال شأفة السموم وغيرها من العوامل التي تؤثر فيه بالوراثة وبذلك يقل عدد الاشخاص الذين لا فائدة منهم للبلد كضعاف العقول وغيرهم ٤ — العمل على تقليل عدد ذوي العاهات وعلى توفير وسائل التعليم ووسائل كسب العيش للموجودين منهم ٥ — توفير المياه النقية لكل سكان القطر على السواء من حضر وريف ٦ — تحسين حالة المساكن في المدن والقرى — ومحل هذه المعضلة يرتفع مستوى الصحة العامة الى درجة عالية جداً لان المسكن غير الصحي يدعو الى ضعف بنية السكان واضعاف قوة مقاومتهم للامراض فيكثر المرضى وذوو العاهات وترتفع نسبة الوفيات . والمسكن الرديء يدعو بطبيعته الى قذارة المساكن وقذارة ما يحيط بها وما يتبع ذلك من مرض ونقص في الكفاية ٧ — مقاومة البلهارسيا والانكلستوما لا بالمعالجة والوسائل الصحية العامة فقط بل بإبادة الديدان المسببة لها في مواطنها والهمة مبذولة الى اقصى حد للوصول الى هذا الغرض الهام ٨ — القضاء على الرمد الحبيبي باكتشاف جرثومته . والبحث قائم بكل همة ونشاط لحل المعضلة التي استعصت على الحل منذ آلاف السنين وليس من شك في أن رفع مستوى الثقافة العامة بين الاهلين يساعد كثيراً على الوصول الى هذا الغرض ٩ — التصرف في الفضلات بتصميم المجاري في المدن وحل هذه المعضلة الهامة بالنسبة للقرى

ومتى وفقنا الى حل هذه المعضلات الصحية وقطعت البلاد شوطاً بعيداً في مضمار التقدم في مختلف نواحي المدنية تزدهر المدنية في مصر وتبلغ مثلها الاعلى فتعود البلاد سيرتها الاولى